حركات الإصلاح الإسلامية

٥ ـ أزمة إســــلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر

لم تبق حركات الإصلاح محصورة في الهند ومصر ، ولكنها تعدتهما إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، وذلك أن حركة التبادل الفكرى فى العالم الإسلامى قوية عنيفة لا يمكن معها أن تبق مثل هذه الحركات مقصورة على مكان واحد . وعلى الأخص إذا كانت أفكاراً لذوى الشخصيات القوية مثل جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ممن تعدت أفكارهم وآراؤهم الحدود ووجدت صدى بعيداً وتأثيراً مباشراً

وقد ظهرت فجأة وعلى غير انتظار حركة إصلاح دينى هى حركة الإصلاح فى تركيا ، ذلك الشعب الذى لعب دوراً فى قيادة العالم الإسلامى عدة قرون . وقد جاءت هذه الحركة متأخرة عن الحركات الأخرى ، ولكنها كانت مع هذا التأخر أشد من أولئك فضلاً وأنفذ عملاً . أما السبب الذى جعل تركيا التى كانت تسير فى الإصلاحات السياسية والثقافية فى المقدمة وعلى قمة الناهضين — لا تهتم اهتماماً استقلالياً بالإصلاح الدينى إلا آخراً ، فإن ذلك يرجع إلى أسباب من أنواع مختلفة ، فمن ذلك أن الأتراك بطبيعتهم لم يكونوا باحثين منقبين ، ولم يساهموا فى تطور الإسلام بسهم ملحوظ ؛ فإنهم عند ما دخلوا الإسلام كان الدين والتفكير فيه قد انتهى إلى شكله النهائى الذى وصل إليه . وكما أنهم لم يساهموا فيه أولاً كذلك لم يساهموا فى نهضته آخراً ، لما هو فيهم من ميل وسنى لاقتباس المدنية الغربية ، وكلما ظهر تأثرهم بهذه المدنية قوياً ظهر إمكان إيجاد الاتصال بين الإسلام وبين العقلية الحديثة للشباب التركى أمراً بعيداً

وتطور التركية الحديثة يسير منذ زمن طويل قليلاً أو كثيراً فى طريق لا يقوم على أساس أو خلق بل هو عار عن كل وطنية أو دين ، وهو ما يسمى فى الشرق بالنزعة الغربية أو الأوربية occidentalismus على أننا لا ننسى أمراً مهما وهو أن عصر طغيان عبد الحميد كانت تمجد فيه مذاهب السنة والتمسك بها فى الآستانة . ومن الحق أن جمال الدين كان قد أثر هناك، ولكن تأثيره كان ضعيفاً من سوء ظن السلطان به؛ وكانت أفكاره قد طبعت من جانب عبد الحميد بطابع سياسى عملى. وفى هذه الفترة التى اشتد فيها النزاع الداخلى بين الإسلام والتقدم الأوربى كان لا يمكن أن تأتى هذه الأفكار بثمرة . وهكذا نرى أنه بعد ثورة ١٩٠٨ أخذت مسألة الدين مكاناً واهتماماً بنفس الشكل الذى كان عبد الحميد يحاول بشدة تنفيذه ، وأخذت الحركة الروحية النائمة التى كان يحاول إيقاظها تدب فيها الحركة

وفى يدنا الآن بحث قيم وضعه عن تطور حركة التجديد فى تركيا تركى مثقف ثقافة غربية كاملة ، ولكنه فى الوقت نفسه ذو إحساس دينى حار ، وهو أحمد محيى الدين الذى مات مع الأسف فى سن مبكرة[1] أما كيف سار التجديد بسرعة قبل أن يقطع طريقه مرة واحدة فيتبين لنا ذلك من هذه الحقيقة وهى أن محيى الدين استطاع أن يكتب فى سنة ١٩٢١ هذه العبارة : « إن طريقة أهل السنة التى غرضها التمسك بالإسلام بشكله التاريخى الحاضر قد أصبحت اليوم مغلوبة مهزومة» . ففى هذا الوقت (١٩٢١) كان يتنازع الغلبة مذهبان مختلفان أشد الاختلاف : المذهب الوطنى die onationalistische Richtungen الذى كان يتزعمه الشاعر المفكر ضياء جك ألب . والمذهب الآخر الذى سماه محيى الدين « المذهب الإصلاحى » Reformation والذى كانت تقوم عليه شخصية الشاعر الواعظ محمد عاكف ، وعمل برنامجه الأمير المصرى والوزير العثمانى محمد سعيد حليم[2] . ومن الممكن على احتمال قليل أن نميز أولهما بأنه سياسى ثقافى والآخر بأنه دينى إصلاحى والمهم هنا هو أن كليهما قد وضع لمسألة الدين طريقاً واحداً للسير فيه . فكل منهما — كما يقول محيى الدين — يرفض الإسلام التاريخى ويطلب الرجوع إلى الإسلام الأول ، وكل منهما يرفض اعتبار الشريعة للوقت الحاضر ويطلب

(١) Ahmed Muhiddin, Die Kulturbewegung un modernen Türkentum (Leipzig 1921)

(٢) راجع عن برنامج محمد سعيد حليم وضياء جوك الب ترجمة فيشر : Fischer, Aus der religiosen Reformbewegung in der Turkei (Leipzig 1922)

حرية الاجتهاد . فهما – كما نرى – قد رسما خطة للتجديد واسعة . ونستطيع أن نتبين من غير صعوبة أن برنامجهما المشترك يتفق فى أهم نقطة مع برنامج الإصلاح المصرى . وفى الحقيقة أن الارتباط الشخصى ظاهر بين « المذهب الإصلاحى » التركى ، وحركة الإصلاح المصرية ، وأمور الإصلاح فيهما متفقة

وقد وضع المذهبان التركيان لهما شعاراً للاصلاح الدينى كلمة « إسلام أشمق » بمعنى الرجوع إلى الإسلام . وعند تفسير هذه الكلمة عند كل من المذهبين يتبين لنا الفرق الأصلى بينهما

ومعنى هذه الكلمة يرجع فى مرحلتها الأخيرة إلى جماعة المؤمنين المتمسكين بالقديم ، إزاء المصريين المندفعين فى تيار الأوروبية المنكرين للإسلام . ثم لما كشف القناع عن دخيلة هؤلاء الأتراك الذين لا دين لهم ولا وطنية أخذ هذه الكلمة الوطنيون أصحاب المذهب الوطنى فى برنامجهم الثلاثى : (ترك — إسلام — تجديد) وأراد به هؤلاء الوطنيون تحرير الإسلام من أعمال أهل الدين المتأخرين ، ومن أمور زمنية ومكانية التصقت به من أول الأمر ، ولكن كما يظهر من البرنامج الثلاثى فإن هذه الكلمة تصور طلباً من طلبات الوطنية ؛ والنقطة الرئيسية والمهاد الأهم إنما هو الناحية السياسية الثقافية ، فكلمة « الرجوع إلى الإسلام » هى على الأكثر القالب الذى يصب فيه البرنامج ما يحس به من مسألة الدين كنقطة هامة . وهكذا حدد هذا البرنامج الدين فى مجاله الضيق وفصل عنه الجانب الآخر من الحياة الإنسانية ؛ فهو يطلب مباشرة فصل الدين عن الدولة ، وغايته حياة دنيوية غير روحية

وعلى الضد من هذا « المذهب الإصلاحى » فهو مع إحاطته على العموم بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الإصلاحية فى الدين وما يعنيه من « الرجوع إلى الإسلام » . فهو يعنى الرجوع إلى الإسلام القديم ؛ لا بإبعاد الأمور التى غيرت منه أثناء تطوره التاريخى فحسب ، بل أيضاً وقبل كل شىء يريد الوقوف ضد هؤلاء المصريين المندفعين فى تيار الغرب وضد دعاة المذهب الوطنى ، فهى حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة المدنية من غير إضرار بحرية الفرد ، وهى فى هذا متفقة مع الحركة المصرية مختلفة مع المذهب الوطنى أصلياً فى مسألة الدين

وقد يختلف المذهبان اختلافاً جزئياً فى طلباتهما ، ولكنه أقل من اختلافهما فى الدوافع ، وكما يتحدان فى نقدهما للإسلام التاريخى فى كل الأمور ، يتحدان أيضاً فى كثير من المسائل العملية ، فالفرق بينهما ليس فرقاً ظاهراً للعيان ، ولكنه فرق كامن فى الأساس . ومن الحق أن نقول من جانب آخر إن عدم اهتمام المذهب الوطنى بالدين لا يصح أن يؤخذ على معناه الواسع ، فإن شمر ضياء جوك ألب الدينى يرينا بوضوح أنه ذو شخصية دينية محافظة عميقة

إلى هنا قد تعرفنا أهم أشكال الحركات الإصلاحية الحديثة فى الإسلام ، أما حركات هؤلاء الوافدين على أوربا وأمريكا مثل الحركة البهائية الفارسية أو الأحمدية الهندية ، فهى حركات منفصلة لا تمت كثيراً إلى الحنيفية الإسلامية

وأخيراً يتبادر لنا هذا السؤال : هل تلك الحركات إذا ما أمكن تحقيقها تستطيع إلى مدى بعيد أن تحقق الاتفاق مع التفكير المصرى والأخذ بحركات التقدم العلمى والمادى ؟ وجوابنا على هذا السؤال بالإيجاب بدون قيد ولا شرط ، فإن العقيدة الإسلامية لا تمنع أى تطور تجديدى ، بل هى فى أصلها أشد مرونة وأسلس قياداً من العقيدة المسيحية . والذى يظهر أنه مانع لا يذلل هو الفقه المكون من تفصيلات تافهة ، فإذا ما ترك هذا كما هو الأساس فى كل حركات الإصلاح فإن التقدم المصرى — حتى بمعناه الأوربى — يكون بابه مفتوحاً على مصراعيه .

علي حسن عبد القادر

معهد التناسليات

قد افتتح معهد التناسليات ببرلين تأسيس الدكتور ماجنوس هيرشفلد فرعاً له بمدينة القاهرة بعمارة رزقية نمرة ٤٦ بشارع المدابغ لخدمة سكان مصر والشرق تليفون ٥٢٥٧٨ لمعالجة جميع الاضطرابات والأمراض والشواذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب حسب الطريقة المتبعة فى المعهد الرئيسى بمدينة برلين . ومواعيد العيادة يومياً من الساعة ٩ – ١ صباحاً ومن ٤ – ٥ مساء .

ملاحظة – لا يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة إلا بعد الإجابة على مجموعة الأسئلة السيكولوجية المحتوية على ١٤١ سؤالاً التى يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش صاغ .

(سجل تجارى ٥٢٢٧)